

عبد الملك بن صالح العباسي

حياته وأثره في العصر العباسي الأول

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين :

شهد العصر العباسي الأول - الذي يمتدّ فترة قرن من الزمن (١٣٢-٢٣٢هـ) - بروز كثير من الأعلام المميزين والرجال المشهورين، الذين أدوا أدواراً مؤثرة، وتركوا أثراً مهمّة في تاريخ الدولة العباسية في ذلك العصر، وقد أضحى بعض هؤلاء الأعلام ظاهرة تاريخية، تحدّث الناس عنها في مختلف الأيام والعصور، ودوّنت أخبارها في كثير من سجلّات التاريخ .

وإذا كانت مصادر التاريخ قد سلّطت أضواءً بيّنة على تاريخ عدد كبير من الأعلام الذين عاشوا في العصر العباسي الأول، وأبانت عن كثير من مراحل حياتهم، بحيث يبدو التعرّف على سيرهم أمراً ميسوراً في أغلب الأحيان، فإنّ ثمة أعلاماً آخرين يُحيط الغموض بجوانب كثيرة من تاريخهم، وتُثير الجدل مواقف مختلفة في حياتهم، بالرغم من أنهم كانوا يحظون بمنزلة عالية ومقام رفيع في البلاط العباسي .

الدكتور: محمد
ابن سليمان
الراجحي *

* بكالوريوس من
كلية العلوم العربية
والاجتماعية
بجامعة الإمام
محمد بن سعود
فرع القصيم،
١٤٠٤هـ.
- ماجستير من الجامعة
نفسها، ١٤٠٨هـ.
- دكتورة من قسم
التاريخ بجامعة
الإمام بالرياض،
١٤١٤هـ.
- يعمل الآن أستاذاً
بقسم التاريخ -
كلية اللغة العربية
والدراسات
الاجتماعية بجامعة
الإمام بالقصيم.

الدرجّة

السنة : الرابعة عشرة

العددان : الثالث والرابع والخمسون

رجب ١٤٢٣هـ

يونيو ٢٠١٢م

ومن هؤلاء الأعلام «عبد الملك بن صالح بن علي العباسي»، الذي برز في أيام الخليفة «هارون الرشيد»، وكان له أثر مهم في العصر العباسي الأول، ليس في عهد «الرشيد» فقط، بل وفي عهود بعض الخلفاء الآخرين، حيث وُثِيَ في بعض الفترات على عدد من المدن والأقاليم، واشتهر بالبلاغة وفصاحة اللسان، وقوّة الحجّة والبيان، وتمتّع بسؤدد عظيم وهيبة لحدود لها . وكانت له مع الخليفة «الرشيد» و «البرامكة» صولات وجولات، وعلاقات متعدّدة الأنماط، تباينت أحواله فيها بين منزلة سامية في البلاط العباسي تارة، وحال يرثى لها تارة أخرى، تمثّلت في بقائه في سجن «الرشيد» بضع سنين، بعد تدهور العلاقة بينهما، بسبب ما أشيع عن «عبد الملك» من أنّه كان يسعى إلى الخلافة .

وهذا البحث هو دراسة تاريخية لهذا العَلم الذي عاش في ذلك العصر المميّز من التاريخ العباسي، حاولت من خلالها تسليط الضوء على سيرة حياته وأثره في تاريخ الدولة العباسية إبّان عهود الخلفاء الذين عاصروهم، ولا سيّما عهد الخليفة «هارون الرشيد»، حيث كان لعبد الملك بن صالح حضور ملموس في البلاط العباسي في ذلك الحين . وقد ذكرتُ في البداية نسبه وماتوا فر من معلومات عن نشأته وصفاته، ثمّ تحدّثتُ عن ولايته على بعض المدن والأقاليم، وتناولتُ بعد هذا طبيعة علاقته بالخليفة «الرشيد»، مبيّناً الظروف والملايسات التي أدّت إلى تدهور العلاقة بين الرجلين، وأفردتُ بعد ذلك بضع صفحات للحديث عن علاقة «عبد الملك بن صالح» بالبرامكة، ومناقشة ما ذهب إليه بعض الآراء من أنّ ثمة اتفاقاً كان بينه وبين «البرامكة» ضدّ الخليفة «الرشيد».

ثمّ سلّطتُ الضوء على ما كان لعبد الملك من أثر في ميدان الفصاحة والبلاغة، موضّحاً ما كان لأقواله من أصدااء عند المؤرّخين والأدباء، ومن ثمّ تناولتُ أثره في ميدان البناء والعمران، وأعقبتُ ذلك ببيان أثره في ميدان المواجهات بين العباسيين والروم البيزنطيين، وبخاصّة في أيام الخليفة «هارون الرشيد»، وأخيراً تحدّثتُ عن السنوات الأخيرة من حياة «عبد الملك بن صالح»، والتي عاد فيها إلى مكانته التي كان يحظى

بها من قبل، وذلك بُعيد تولّي الخليفة «الأمين» مقاليد الأمور في الدولة العباسية، سنة ١٩٣هـ / ٨٠٩م .

وفي الخاتمة استعرضتُ أهمّ النتائج التي تمخّضت عن دراستي لهذا الموضوع ..
نسبه ونشأته وصفاته :

هو «أبو عبد الرحمن عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عبّاس»^(١)، من رجال بني العباس وأعلامهم في العصر العباسي الأوّل، وهو ابن عمّ الخليفين «أبي العباس السفاح» و«أبي جعفر المنصور»، إلّا أنه لم يبرز في أيّامهما؛ لأنّه كان حينذاك لا يزال صغير السنّ، وإنّما اتّسعت شهرته وذاع صيته في عهد الخليفة «هارون الرشيد»، حفيد الخليفة «المنصور» .

ولم تذكر المصادر تاريخ مولده، ويمكن القول إنّهُ وُلد - تقديراً - في الثلث الأوّل من القرن الثاني الهجري، ونشأ تحت رعاية والده، وكان والده «صالح بن علي العباسي» من كبار رجال بني العباس الأوائل، وممّن كان لهم شأنٌ مذكور في مستهلّ دولتهم، وهو الذي طارد «مروان بن محمد بن مروان» - آخر خلفاء بني أمية - من موضع إلى آخر، حتى انتهى الأمر بمصرعه في مصر في آخر سنة ١٢٢هـ / ٧٥٠م^(٢) .

ولا تتحدّث المصادر التاريخية كثيراً عن نشأة «عبد الملك» وحياته الأولى، ويبدو أنّه

(١) ابن النجار البغدادي . ذيل تاريخ بغداد -٠ بيروت : دار الكتب العلمية، ج ١، ص ٤٨ . الذهبي . سير أعلام النبلاء: تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين -٠ بيروت : مؤسسة الرسالة، ج ٩، ص ٢٢١ . ابن أبيك الصفدي . تحفة ذوي الألباب فيمن حَكَمَ بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب: تحقيق إحسان سعيد خلوصي، وزهير حميدان الصمصام -٠ دمشق، ١٩٩١م، القسم الأوّل، ص ٢٣٦، السيوطي : رَفَعَ الباس عن بني العباس: تحقيق يحيى محمود بن جُنيد، مجلّة «عالم المخطوطات والنوادر»، المجلد الثامن، العدد الثاني، رجب - ذو الحجة ١٤٢٤هـ / سبتمبر ٢٠٠٣م - فبراير ٢٠٠٤م، ص ٣٠٧ .

(٢) انظر ترجمة «صالح بن علي بن عبد الله بن عباس» وأخباره في: البلاذري . جُمَل من أنساب الأشراف: تحقيق سهيل زكّار، ورياض زركلي -٠ بيروت : دار الفكر، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ج ٤، ص ١٣٥ . ابن الأثير . الكامل في التاريخ -٠ بيروت : دار صادر، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ج ٥، ص ٤٢٦ - ٤٢٨ . ابن أبيك الصفدي . الوافي بالوفيات: تحقيق أحمد الأرنؤوط، و تركي مصطفى -٠ ط ١ -٠ بيروت : دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، ج ١٦، ص ١٥٣ .

كانت له في مقتبل عمره بعض الاهتمامات العلمية، فقد ذكرت بعض الروايات أنه روى عن أبيه وعمّه «سليمان بن علي العباسي»^(١) و«مالك بن أنس»^(٢)، كما روى عنه عدد من أهل العلم، منهم «فُليح بن سليمان»^(٣) و«عبد الله بن عمرو الأسدي»^(٤) والأديب واللغوي الشهير «عبد الملك بن قريب الأصمعي»^(٥)، وغيرهم^(٦).

ومما لا شك فيه أن اهتماماته العلمية كان لها انعكاساتها الإيجابية على شخصيته؛ فقد أسهمت في إثراء تكوينه الثقافي وفي تنمية قدراته البلاغية.. يدل على ذلك ما اشتهر

(١) هو «سليمان بن علي بن عبد الله العباسي الهاشمي»، عمّ الخلفتين «أبي العباس السفّاح» و«أبي جعفر المنصور»، من رجال بني العباس الأوائل. وُلد في سنة ٨٢ هـ، ووُلي على البصرة في أيام «السفّاح» و«المنصور»، وكان معروفاً بالجدود والكرم. توفّي سنة ١٤٢ هـ، وقيل ١٤١ هـ. انظر ترجمته في: البلاذري. جمل من أنساب الأشراف، ج٤، ص ١٢٣ - ١٢٨. الذهبي. سير أعلام النبلاء، ج٦، ص ١٦٢ - ١٦٣. ابن أبيك الصفدي. الوافي بالوفيات، ج١٥، ص ٢٤٨.

(٢) هو «أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني». إمام دار الهجرة، وأحد الأعلام المشاهير. ولد في سنة ٩٥ هـ، وقيل ٩٣ هـ، وإليه يُنسب المذهب المالكي، أحد المذاهب الأربعة المعروفة. توفّي سنة ١٧٩ هـ. انظر ترجمته في: ابن خلكان. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان؛ تحقيق إحسان عباس - بيروت: دار صادر، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م، ج٤، ص ١٣٥ - ١٣٩. الذهبي. المصدر السابق، ج٨، ص ٤٨ - ١٣٥.

(٣) هو «فُليح بن سليمان بن أبي المغيرة المدني»، من علماء القرن الثاني الهجري. توفّي سنة ١٦٨ هـ. انظر ترجمته في: الذهبي. المصدر السابق، ج٧، ص ٣٥١ - ٣٥٥. ابن أبيك الصفدي. المصدر السابق، ج٢٤، ص ٦٢ - ٦٣.

(٤) ذكره «ابن النجار» باسم «عبد الله بن عمرو»، وذكره «القشيري» و«الذهبي» باسم «عُبَيد الله بن عمرو»، وهو «عبد الله - أو «عُبَيد الله - بن عمرو بن أبي الوليد الأسدي». وُلد في سنة ١٠١ هـ، وكان حافظاً ثمة حجة. توفّي سنة ١٨٠ هـ. انظر ترجمته في: القشيري. تاريخ الرقة - دمشق: دار البشائر، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م، ص ١٢٢ - ١٢٦. الذهبي. المصدر السابق، ج٨، ص ٣١٠ - ٣١١.

(٥) هو «أبو سعيد عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك الأصمعي»، من أئمة اللغة والأدب، علامة في الأخبار والنوادر والمُلح والغرائب، راوية لأشعار العرب. وُلد في سنة ١٢٢ هـ، وقيل ١٢٣ هـ، وقدم من البصرة إلى بغداد في أيام الخليفة «هارون الرشيد»، وصار من ندمائه ومن كبار أهل الأدب في بلاطه. توفّي سنة ٢١٦ هـ. انظر ترجمته في: الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد - بيروت: دار الكتب العلمية، ج١٠، ص ٤١٠ - ٤٢٠. ابن خلكان. المصدر السابق، ج٣، ص ١٧٠ - ١٧٦.

(٦) ابن النجار البغدادي. ذيل تاريخ بغداد، ج١، ص ٤٩.

به من تميّز في ميادين الفصاحة والخطابة، كما شهد له بذلك كثير من المؤرّخين وأرباب الأدب في مختلف العصور .

وكان «عبد الملك بن صالح» - فضلاً عمّا تميّز به من فصاحة وبلاغة - يتّصف بصفات كثيرة جعلته يحظى بثناء المؤرّخين والأدباء، فقد أشار الأديب والمؤرّخ الأندلسي الشهير «ابن عبد ربّه»^(١) إلى أنّه كان ذا جلاله وقدر وأدب، كما أشار العلامة «أبو علي التنوخي»^(٢) إلى أنّه كان معروفاً بجلالة قدره وتقشّفه، مترفعاً عمّا لا يليق بأمثاله من أمور، وأثنى عليه «أبو إسحاق الحصري القيرواني» فذكر أنّه كان رجلاً (فاضلاً عاقلاً)^(٣)، وامتدحه العلامة «ابن حزم الأندلسي» فقال إنّّه كان (جليل القدر جداً)، رفيعاً في مقامه^(٤) .

كما أشاد به «ابن النجار البغدادي» فقال : (كان من رجال قريش وكفاتهم)^(٥)، وأثنى عليه المؤرّخ «ابن خلّكان» فذكر أنّه (كان رجلاً ذا جدّ وتعفّف ووقار)^(٦)، ووصفه «الذهبي» بأنّه كان (شريف الأخلاق، مهيباً شجاعاً سائساً)، وذكر أنّه (من دهاة بني هاشم)^(٧)، كما ذكر أنّه (كان من أشرف بيته وفصحائهم ونبلائهم)^(٨)، وامتدحه المؤرّخ «ابن تغري بردي» فذكر أنّه كان (شريفاً نبيلاً)^(٩) .

ولايته على بعض المدن والأقاليم :

تولّى «عبد الملك بن صالح» في فترات مختلفة من حياته ولاية عدد من المدن والأقاليم

(١) العقد الفريد؛ تحقيق محمد عبد القادر شاهين -٠ بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ج ١، ص ١٩٩ .

(٢) الفرج بعد الشدة؛ تحقيق عبّود الشالجي -٠ بيروت: دار صادر، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ج ١، ص ٣٦٣ .

(٣) زهر الآداب وثمر الألباب -٠ ط ٤ -٠ بيروت: دار الجيل، ج ٢، ص ٧١٧ .

(٤) جمهرة أنساب العرب -٠ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٣٦ .

(٥) ذيل تاريخ بغداد، ج ١، ص ٤٨ .

(٦) وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣٣١ .

(٧) سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٢٢٢ .

(٨) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام؛ تحقيق عمر عبد السلام تدمري -٠ بيروت: دار الكتاب العربي،

حوادث ووفيات (١٨١ - ١٩٠هـ)، ص ٣٣ .

(٩) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة -٠ ط ١ -٠ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ج ٢، ص ١١٨ .

في الدولة العباسية، فقد ذكرت بعض المصادر التاريخية أنه وُلِّيَ على إقليم الجزيرة الفراتية في أيام الخليفة «المهدي بن المنصور» (١٥٨ - ١٦٩هـ / ٧٧٥ - ٧٨٥م)، ومع أنّ المصادر لم تحدّد السنة التي وُلِّيَ فيها، إلّا أنها ذكرت أنه تولّى ذلك الإقليم مرّتين في عهد «المهدي»^(١).

وفي الفترة اليسيرة التي حَكَمَ فيها الخليفة «موسى الهادي» (١٦٩ - ١٧٠هـ / ٧٨٥ - ٧٨٦م) ذُكِرَ أيضاً أنّ «عبد الملك بن صالح» وُلِّيَ على مدينة «الموصل»، وذلك بعد عزّل «هاشم بن سعيد»^(٢) عنها بسبب إساءته السيرة في أهلها^(٣). وتُشير بعض الروايات إلى أنّ الذي وُلِّيَ «عبد الملك» هو الخليفة «الهادي» نفسه، بينما تذكر رواية أخرى أنّ الذي اختاره لولاية الموصل في تلك الفترة هو الوزير «الربيع بن يونس»^(٤)، ليُصلح أحوالها، ويُحسن السيرة في أهلها، وكان «الهادي» حينذاك غائباً عن دار الخلافة «بغداد»، فلمّا عاد إليها (صوّب رأي الربيع، وأقرّ عبد الملك بن صالح) على ولايته^(٥). وقد ظلّ والياً

(١) خليفة بن خياط. تاريخه: تحقيق أكرم ضياء العمري - ٢ ط - بيروت: دار القلم، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ٤٤١. ابن عساكر. تاريخ مدينة دمشق: تحقيق محبّ الدين عمر بن غرامة العمروي - بيروت: دار الفكر، ج ٣٧، ص ٢٤.

(٢) هو «هاشم بن سعيد بن منصور بن خالد»، من ولادة بني العباس، ولّاه الخليفة «موسى الهادي» على الموصل في سنة ١٦٩هـ، ولكنه ما لبث أن عزّل عنها. وكان قد وُلِّيَ على الكوفة أيضاً في أيام الخليفة «المهدي بن المنصور». انظر: خليفة بن خياط. تاريخه، ص ٤٤١. الأزدي. تاريخ الموصل: تحقيق علي حبيبة - القاهرة، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م، ص ٢٥٧. ابن الأثير. الكامل، ج ٦، ص ٩٥.

(٣) الأزدي. المصدر السابق، ص ٢٥٧. ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٦، ص ٩٥.

(٤) هو «أبو الفضل الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة»، من وزراء بني العباس. تولّى الوزارة في عهد الخليفة «أبي جعفر المنصور»، ثمّ صار حاجباً في عهد ابنه «المهدي بن المنصور»، وقيل إنّه وُلِّيَ الوزارة في أيامه أيضاً، ولمّا تولّى «موسى الهادي» الخلافة سنة ١٦٩هـ ولّاه الوزارة ثمّ عزّله بعد فترة يسيرة. توفي سنة ١٧٠هـ. انظر ترجمته في: الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد، ج ٨، ص ٤١٤. ابن خلكان. وفیات الأعيان، ج ٢، ص ٢٩٤ - ٢٩٩. ابن الطقطقي. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية - بيروت:

دارصادر، ص ١٧٧ - ١٧٨، ١٩٢.

(٥) الأزدي. تاريخ الموصل، ص ٢٥٧.

على الموصل حتى أوائل عهد الخليفة «هارون الرشيد»، الذي عزله عنها في سنة ١٧١هـ / ٧٨٧م^(١)، ثم ولّاه على المدينة سنة ١٧٢هـ / ٧٨٨م^(٢).

وفي حدود سنة ١٧٧هـ / ٧٩٣م وُلّي «الرشيد» «عبد الملك بن صالح» على مدينة «دمشق»^(٣)، ولم تطل ولايته عليها بل عُزل عنها في العام التالي (١٧٨هـ / ٧٩٤م)^(٤)، وقيل إنّه عُزل في سنة ١٧٩هـ / ٧٩٥م^(٥).

ووفقاً لما يذكره بعض المؤرخين فقد وُلّي «عبد الملك» في عهد الخليفة «الرشيد» على مصر أيضاً، وذلك في سنة ١٧٨هـ / ٧٩٤م، غير أنّه لم يذهب إليها بنفسه، وإنما أناب عنه «عبد الله بن المسيّب الضبي»^(٦)، ولم تطل ولايته على مصر أيضاً، بل عُزل عنها في نفس السنة التي وُلّي فيها (١٧٨هـ / ٧٩٤م)، وذلك بعد نحو شهرين فقط من ولايته^(٧). ويُرجّح المؤرّخ «ابن تغري بردي»^(٨) أنّه وُلّي على مصر حينما كان والياً على «دمشق»، فجُمعت له الولاياتان معاً.

وفي عهد الخليفة «الأمين» (١٩٣ - ١٩٨هـ) وُلّي «عبد الملك» على بلاد الشام والجزيرة الفراتية، بيد أنّ ولايته عليها جرت في ظلّ ظروف سيئة، وذلك حينما كان الصراع

(١) المصدر نفسه، ص ٢٦٧.

(٢) عن ولاية «عبد الملك بن صالح» على «المدينة» انظر: ابن عساكر . تاريخ مدينة دمشق، ج ٣٧، ص ٢٥. ابن أبيك الصفي . الوافي بالوفيات، ج ١٩، ص ١١٢، ١١٣. السخاوي . التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة -٠ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ج ٢، ص ٢١٠.

(٣) ابن أبيك الصفي. تحفة ذوي الألباب، القسم الأول، ص ٢٣٧. ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ١١٨.

(٤) ابن تغري بردي. المصدر السابق، ج ٢، ص ١١٩.

(٥) ابن عساكر . المصدر السابق، ج ٣٧، ص ٢٣. ابن أبيك الصفي . المصدر السابق، القسم الأول، ص ٢٣٧.

(٦) هو «عبد الله بن المسيّب بن زهير الضبي». من ولاة بني العباس. ولّاه الخليفة «هارون الرشيد» على مصر في شهر رمضان سنة ١٧٦هـ، وعزله عنها في شهر رجب سنة ١٧٧هـ، ثم وُلّي عليها نائباً عن «عبد الملك بن صالح» في سنة ١٧٨هـ، لفترة محدودة . انظر ترجمته في: الكندي . ولاة مصر: تحقيق حسين نصّار -٠ بيروت: دار صادر، ص ١٦٠، ١٦٢. ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٠٩.

(٧) الكندي . المصدر السابق، ص ١٦٢. ابن تغري بردي . المصدر السابق، ج ٢، ص ١١٨.

(٨) النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ١١٩.

محدثاً بين الأخوين «الأمين» و «المأمون»، ولم تستمر ولايته على تلك البلاد سوى فترة يسيرة، حيث توفي في سنة ١٩٦هـ / ٨١١م^(١).

ومن الملفت للنظر أنّ المصادر التاريخية لم تتضمن معلومات واسعة أو روايات مفصلة، تتعلّق بولاية «عبد الملك بن صالح» على هذه المدن والأقاليم، وما جرى في أثناء ولايته عليها من أحداث مهمّة أو أعمال بارزة، وجُلّ ما ورد في هذه المصادر لا يتجاوز بعض المعلومات اليسيرة والروايات المقتضبة عن هذا الجانب في حياته وسيرته.

علاقته بالخليفة «هارون الرشيد»:

كان «عبد الملك بن صالح» يتبوأ مكانة رفيعة في البلاط العبّاسي، ويحظى بمنزلة مهمّة عند الخليفة «هارون الرشيد» بصفة خاصّة، وقد دلّت شواهد ومواقف كثيرة على أنّ العلاقة بينهما كانت على جانب من القوّة والتميّز، وأنّ «الرشيد» كان يُجلّه ويُقدّره، منها أنّ «عبد الملك» عُيّن في أيامه والياً على عدد من البلدان في فترات مختلفة - كما ذكرنا آنفاً - ومنها أيضاً ما ذكرته بعض الروايات من أنّ «عبد الملك» أشار على الخليفة «الرشيد» - بعد أن رشّح ابنه «الأمين» ثم «المأمون» للخلافة من بعده - أن يضمّ إليهما ابنه «القاسم»، ليكون ثالثهما، فوافق على ذلك، ولقبه (المؤتمن)^(٢).

على أنّ هذه العلاقة المميّزة بين الرجلين انقلبت رأساً على عقب، ففي سنة ١٨٧هـ / ٨٠٣م سخط الخليفة «هارون الرشيد» على «عبد الملك بن صالح» وأمر بسجنه، وظلّ في السجن حتّى وفاة «الرشيد» في سنة ١٩٣هـ / ٨٠٩م^(٣)، وقد ذكر المؤرّخون أنّ هذا التغيّر

(١) الطبري . تاريخ الأمم والملوك: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - بيروت : دار سويدان، ج٨، ص٤٢٤، ٤٢٥،

٤٢٨. ابن الأثير . الكامل، ج٦، ص٢٥٧، ٢٥٩.

(٢) الأزدی . تاريخ الموصل، ص٣٠٢ - ٣٠٣. ابن العمراني . الإنباء في تاريخ الخلفاء؛ تحقيق قاسم السامرائي -

الرياض : دار العلوم، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص٧٩. ابن الجوزي . المنتظم في تاريخ الملوك والأمم - ط١ -

بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ج٩، ص١١١. ابن كثير . البداية والنهاية - القاهرة : دار هجر،

١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ج١٣، ص٦٣٤ - ٦٣٥.

(٣) ابن الجوزي . المصدر السابق، ج٩، ص١٣٧ - ١٣٨. ابن الأثير . الكامل، ج٦، ص١٨٠ - ١٨٣. الذهبي . تاريخ

الإسلام، حوادث ووفيات (١٨١ - ١٩٠هـ)، ص٣٣.

المفاجئ والكبير في علاقة الخليفة بعبد الملك إنما يُعزى إلى ما أُشيع عن هذا الأخير من أنه كان يطمع بالخلافة، وأنه كان يسعى إلى الخروج على «الرشيد»^(١).

ومما زاد الأمر سوءاً وجعل الخليفة «الرشيد» يُمعن في السخط على «عبد الملك» أن رجلين كانا من أقرب الناس إليه شهدا عليه عند «الرشيد» أنه كان يسعى إلى الخلافة، وهما ابنه «عبد الرحمن بن عبد الملك»^(٢) ورجل يدعى «قمامة بن زيد»^(٣) كان يعمل كاتباً عنده^(٤). ولم يذكر المؤرخون شيئاً من الأسباب التي دفعت هذين الرجلين إلى الوشاية بعبد الملك بن صالح عند الخليفة «الرشيد»، ولذا يبدو الأمر مثيراً للتعجب وداعياً للتساؤل.

ولم تخلُ المصادر التاريخية من بعض الروايات المشوبة بالأساطير في بيان أسباب سخط الخليفة «الرشيد» على «عبد الملك بن صالح»، ومن ذلك ما قيل من أن «الرشيد» كان ذات يوم يسير في موكب من مواكبه وإلى جانبه «عبد الملك»، فإذا بهاتف يهتف به ويقول: (يا أمير المؤمنين طأطأ من إشرافه، وقصّر من عنانه، واشدّد من شكائمه)^(٥).

(١) الطبري . تاريخ الأمم والملوك، ج ٨، ص ٢٠٢ - ٢٠٤ . ابن الجوزي . المصدر السابق، ج ٩، ص ١٢٧ - ١٢٨ . ابن الأثير . المصدر السابق، ج ٦، ص ١٨٠ .

(٢) هو «عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح العباسي». من قواد بني العباس، كان له دور في بعض الحروب التي جرت بين العباسيين والروم البيزنطيين، حيث قاد بعض الحملات التي وُجّهت صوب الأراضي البيزنطية، ومن ذلك ما حدث في سنتي ١٧٥هـ، و ١٨٢هـ . انظر أخباره في: الطبري . تاريخ الأمم والملوك، ج ٨، ص ٢٤١، ٢٦٩ . ابن الأثير . الكامل، ج ٦، ص ١٢٢، ١٦١ . ويبدو أنه كان أكبر أولاد أبيه، إذ كان يُكنّى به . انظر: الذهبي . سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٢٢١ .

(٣) ذكره أكثر المؤرخين باسم (قمامة) فقط، وذكره «ابن إسحاق النديم» باسم (قمامة بن زيد)، وقال إنه كان رجلاً بليغاً فصيحاً، وكان يعمل كاتباً عند «عبد الملك بن صالح». الفهرست - بيروت: دار المعرفة، ص ١٧٣ .

(٤) الطبري . المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٠٢ . ابن عبد ربّه الأندلسي . العقد الفريد، ج ٢، ص ٢٧ . أبو إسحاق الحصري القيرواني . زهر الآداب، ج ٣، ص ٧١٨ - ٧١٩ . ابن عساكر . تاريخ مدينة دمشق، ج ٣٧، ص ٢٩ . ابن أبيك الصفدي . الوافي بالوفيات، ج ١٩، ص ١١٤ . ابن شاکر الكتبي . فوات الوفيات: تحقيق إحسان عباس - بيروت: دار صادر، ج ٢، ص ٤٠٠ .

(٥) «الشكائم»: جمع (شَكِيمَة)، وهي قوّة القلب والأنفة، يُقال: فلان شديد الشكيمة، إذا كان ذا عارضةٍ وجِدٍّ، وإنّه لشديد الشكيمة إذا كان شديد النفس أنفاً أيباً، وقيل: هو أن يكون صارماً حازماً . ابن منظور . لسان العرب - بيروت: دار صادر، ج ١٢، ص ٣٢٤ . الزبيدي . تاج العروس من جواهر القاموس: تحقيق علي شيري - بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ج ١٦، ص ٣٩٠، ٣٩١ .

والأَفْسَدَ عليك ناحيته)، فالتفت «الرشيد» إلى «عبد الملك» وسأله عن رده على ما سمع، فقال: (مقالُ باغٍ ودسيس حاسد)، فقال له الخليفة: (صدقت، نَقَصَ القومُ فَفَضَّلْتَهُمْ، وتخلَّفوا وتقدَّمَتْهُمْ، حتَّى برز شأوك^(١) فقصر عنه غيرك، ففي صدورهم جمرات التخلّف وحزازات النقص)^(٢).

وفي الوقت الذي شهد فيه «قمامة بن زيد» على «عبد الملك بن صالح» بأنه كان يسعى إلى التآمر على الخليفة «الرشيد» طمعاً في الخلافة، كما شهد عليه بذلك ابنه «عبد الرحمن ابن عبد الملك»، فإنّ ثمة رجالاً آخرين انبروا للدفاع عنه، وتبرّثته ممّا نُسب إليه، ومنهم «عبد الله بن مالك»^(٣) - صاحب الشرطة في عهد الخليفة «الرشيد» فقد ذكرت بعض المصادر التاريخية أنه دخل على «الرشيد» بعد سجّنه «عبد الملك»، واستأذنه في الكلام فأذن له، فأقسم أنه لا يعلم «عبد الملك بن صالح» إلا ناصحاً، وأنه لا يرى سبباً لسجنه، فذكر «الرشيد» أنه إنّما أمر بسجنه لما بلغه عنه من أمور جعلته يخشى منه، ولا يأمن تمرّده عليه، ثمّ أضاف سبباً آخر يبدو على جانب من الأهميّة، وهو خوفه من أن يُحدّث «عبد الملك» - بما له من نفوذ ودور مؤثّر في البلاط العباسي - فجوةً وخلافاً بين ابنيه «الأمين» و «المأمون»^(٤).

ومع أنّ «الرشيد» لم يوافق على إخلاء سبيل «عبد الملك بن صالح»، إلاّ أنّه وافق - بناءً

(١) «الشأو»: الغاية والأمد، وهو أيضاً: الشوط والمدى، و «الشأو»: السبق، يقال سأوت القوم شأواً، أي: سبقتهم، ويقال: بعيد الشأو، أي: الهمة. ابن منظور. المصدر السابق، ج ١٤، ص ٤١٧، ٤١٩. الزبيدي. المصدر السابق، ج ١٩، ص ٥٥٨، ٥٥٩.

(٢) الطبري. المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٠٦. ابن عساكر. المصدر السابق، ج ٢٧، ص ٣٢.

(٣) «عبد الله بن مالك»: من قوّاد بني العباس، وصاحب الشرطة في عهد الخليفة «المهدي بن المنصور»، ثمّ في أيام ابنيّه «موسى الهادي» و «هارون الرشيد»، كان له دور في بعض الحروب التي جرت بين العباسيين والروم البيزنطيين، وبخاصة في عهد «الرشيد»، وحينما نشب الصراع بين الأخوين «الأمين» و «المأمون» كان «عبد الله ابن مالك» في معسكر «المأمون». ولم تذكر المصادر التي وقفت عليها نسبه كاملاً. انظر أخباره في: الطبري. تاريخ الأمم والملوك، ج ٨، ص ٢١٦، ٣٠٥، ٣٢٠، ٣٢٤، ٣٢٩، ٣٧١، ٣٧٢. ابن الأثير. الكامل، ج ٦، ص ١٠٢، ١٨٣، ١٩٦، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٢٣، ٢٢٤.

(٤) الطبري: المصدر السابق، ج ٨، ص ٣٠٥. ابن عساكر. تاريخ مدينة دمشق، ج ٣٧، ص ٣١. ابن الأثير. المصدر السابق، ج ٦، ص ١٨٣.

على التماس من صاحب شرطته «عبد الله بن مالك» على أن يكون مكرماً في محبسه، حيث أمر وزيره «الفضل بن الربيع»^(١) أن يذهب إلى «عبد الملك» ويسأله عما يحتاج إليه، ووعد بتلبية كل ما يطلبه في أثناء وجوده في سجنه^(٢).

ظل «عبد الملك بن صالح» في سجنه سنوات عدة - كما أشرنا إلى ذلك - وخلال هذه الفترة جرت بينه وبين الخليفة «الرشيد» بعض اللقاءات والمحاورات، كان «الرشيد» يسعى من خلالها إلى بلوغ الحقيقة، ومن ثم اتخاذ موقف مناسب تجاه «عبد الملك»، بينما كان هذا الأخير يؤكد في أثناء تلك اللقاءات على براءته مما نسب إليه، وإخلاصه التام للخليفة، وأن ما قيل عنه إنما هو بسبب الحساد والوشاة الذين كانوا يسعون إلى التفريق بينهما^(٣).

يذكر العلامة الشهير «أبو سعيد الأصبغي» - الذي كان معاصراً لهذه الحوادث، وشاهد عيان لبعضها - أنه كان ذات يوم في مجلس الخليفة «الرشيد»، فأمر بإحضار «عبد الملك بن صالح» من محبسه، فأقبل (يرفل في قيوده)، فلما مثل بين يدي «الرشيد» طفق يؤنبه ويغلظ له في القول، وشرع يذكره هو وغيره من بني هاشم بما له من فضل فيما بلغوه من مجد ومكانة عالية بين الناس، وحينما أتم كلامه استأذنه «عبد الملك» في الحديث فأذن له، فأخذ يستحث «الرشيد» على أن يعامله بالعدل والإنصاف، ويذكره بما له من أيااد بيضاء في خدمته، وما بذله من جهود كبيرة في جمع القلوب على طاعته، وأن مثله لا يمكن أن يتهم بالغدر والتأمر^(٤).

(١) هو «الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة»، وزير عباسي، عظم شأنه بعد نكبة البرامكة، وتولى الوزارة في أيام الخليفين «هارون الرشيد» وابنه «الأمين»، ثم انحط قدره في عهد الخليفة «المأمون». توفي سنة ٢٠٨هـ. انظر ترجمته في: الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٣٤٣ - ٣٤٤. ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٣٧ - ٤٠.

(٢) الطبري. المصدر السابق، ج ٨، ص ٣٠٥. ابن الأثير. المصدر السابق، ج ٦، ص ١٨٣.

(٣) الأزدی. تاريخ الموصل، ص ٢٦٤ - ٢٦٦. القيرواني. زهر الآداب، ج ٣، ص ٧١٤ - ٧١٥، ٧١٨. ابن عساكر. تاريخ مدينة دمشق، ج ٣٧، ص ٢٨ - ٣٠.

(٤) السعودي. مروج الذهب ومعادن الجوهر؛ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - ط ٥، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٢م، ج ٣، ص ٣٥٤ - ٣٥٥. ابن عساكر. المصدر السابق، ج ٣٧، ص ٢٨ - ٣١.

ولم يكن الخليفة «هارون الرشيد» يُخفي إعجابه بعبد الملك بن صالح حتى في أشدّ لحظات سخطه عليه، ففي أثناء الجدل الذي دار بينهما أراد الوزير «يحيى البرمكي»^(١) - وكان من بين الحاضرين - أن يضع من قَدَر «عبد الملك» ليرضي «الرشيد»، حيث سأله قائلاً : (يا عبد الملك بلغني أنك حقود)، فقال : (أيّها الوزير إن كان الحق هو بقاء الخير والشرّ إنهما لباقيان في قلبي) !، فقال الرشيد : (تالله ما رأيت أحداً احتجّ للحقد بأحسن ممّا احتجّ به عبد الملك)^(٢) .

ويبدو الخليفة «الرشيد» في موقفه هذا من «عبد الملك بن صالح»، وإعجابه بكلامه، ميّالاً إلى الفخر بقربائه، يُسرّ بكلّ أمر حسن يُنسب إليهم، وإذا كان ذلك الأمر الحسن فيه تحجيم للبرامكة فإنّه يشعر بنشوة تطفئ على كلّ إحساس آخر لديه، وهذا ما دعاه إلى الإعجاب بإفحام «عبد الملك» ليحيى البرمكي، على الرغم من أنّه كان ناقماً عليه^(٣) .

ومع إعجاب الخليفة «الرشيد» به، وحرّص «عبد الملك» على الدفاع عن نفسه، وتأكيده على إخلاصه ووفائه للخليفة، إلّا أنّ ذلك لم يُجده نفعاً، ولم يشفع له عنده، فقد ظلّ «الرشيد» ساخطاً عليه، واستمرّ في سجنه حتى مستهلّ عهد الخليفة «الأمين»^(٤) . وفي أثناء الفترة التي عاشها «عبد الملك» في السجن، كان يسعى بين الحين والآخر إلى استعطاف الخليفة «الرشيد»، ويتطلّع إلى رضائه عنه، وكان يبعث إليه وهو في سجنه ببعض الأشعار التي قالها في ذلك، والتي يطلب فيها عفوّه، بالرغم من أنّه - كما يقول - لم يقترب ذنباً - كما يزعم حسّاده - حتّى يُعاقب عليه، ومن ذلك قوله :

(١) هو «يحيى بن خالد البرمكي»، من مشاهير الوزراء في العصر العباسي الأول، ومن كبار الرجال في البلاط العباسي في زمن الخليفة «هارون الرشيد»، اتّخذ «الرشيد» وزيراً له، ثمّ نَقِمَ عليه وعلى أبنائه وسجنه في النكبة المشهورة المعروفة بـ (نكبة البرامكة) سنة ١٨٧هـ، وتوفي في سجنه سنة ١٩٠هـ . انظر ترجمته في : الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ١٢٨ - ١٣٢، الذهبي . سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٨٩ - ٩١ .

(٢) أبو إسحاق الحصري القيرواني . زهر الآداب، ج ٣، ص ٧١٥ . ابن عساكر . تاريخ مدينة دمشق، ج ٣٧، ص ٢٩ .

(٣) سعدي ضنّاوي . ديوان هارون الرشيد - بيروت : دار صادر، ١٩٩٨م، ص ١٤٤ .

(٤) ابن عساكر . المصدر السابق، ج ٣٧، ص ٢٩، ٣٢ .

قُلْ لَأُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي يَشْكُرُهُ الصَّادِرُ وَالْوَارِدُ
إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ وَلَا ذَنْبَ لِي حَقًّا كَمَا قَدْ زَعَمَ الْحَاسِدُ
فَلَا يَضِيقُ عَفْوُكَ عَنِّي فَقَدْ فَازَ بِهِ الْمُسْلِمُ وَالْجَاهِدُ^(١)

وَيُرَوَّى أَنَّ «عبد الملك بن صالح» لما أُخْلِى سبيله في مستهلَّ عهد الخليفة «الأمين»، وذكر له موقف الخليفة «هارون الرشيد» منه، أقسم أنه بريء مما نسب إليه، وأن ما كان يظنّه «الرشيد» من طمعه في الخلافة أمرٌ لم يخطر بباله ولم يتمناه أو يسع إليه، ويُفسّر «عبد الملك» ما جرى له تفسيراً يبدو فيه مُعتدّاً بنفسه مُعظماً لذاته، حيث يُشير إلى أن «الرشيد» إنّما وقف منه ذلك الموقف لكونه رآه ندّاً له، ولكونه يتمتع بكثير من الخصال الحميدة والصفات الجليلة، التي جعلت له مكانة سامية، مُبيناً أنّ هذه الخصال التي يتمتع بها لم تكن أمراً مصطنعاً ولا متكلفاً^(٢).

وإذا كان «الرشيد» قد سخط عليه لهذه الأسباب، فليس له - كما يقول - ذنب حتى يتوب منه، وإن كان مُصرّاً على معاقبته وسجنه إلا إذا خرج من تلك الخصال التي يُميّز بها فليس ذلك بمقدوره؛ لأنّ العاقل لا يمكنه أن يكون جاهلاً حتّى ولو حاول أن يُرغم نفسه على ذلك^(٣).. وهكذا ظلّ «عبد الملك بن صالح» يؤكّد - حسب ما تذكره هذه الروايات - على أنّ الخليفة «الرشيد» إنّما نَقِمَ عليه غيرَةً منه على ما يُميّز به من صفات كثيرة، جعلت له قدراً كبيراً عند الناس، وخشية من أن يكون ذلك دافعاً له لمنازعتة والخروج عليه!

وقد أورد «الذهبي» ما يؤيّد بعض ما جاء في هذه الروايات، حيث يقول في أثناء ترجمته لعبد الملك بن صالح: (ويقال إنّ [أي الخليفة «الرشيد»] ما حبسه إلا لما رآه له نظيراً في السؤدد)^(٤).

(١) ابن أبيك الصفدي. الوافي بالوفيات، ج١٩، ص١١٥. ابن شاکر الکتبی. فوات الوفيات، ج٢، ص٤٠١.

(٢) اليعقوبي. تاريخه ٠ - بيروت: دار صادر، ج٢، ص٤٣٤. ابن عبد ربه. العقد الفريد، ج٢، ص٢٧ - ٢٨.

(٣) اليعقوبي. المصدر السابق، ج٢، ص٤٣٥. ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج٢، ص٢٨. ابن النجار. ذيل تاريخ

بغداد، ج١، ص٧٤.

(٤) سير أعلام النبلاء، ج٩، ص٢٢٢.

ومع هذا كله يصعب الجزم بصحة هذه الأقوال التي ذهبت إلى اتهام «الرشيد» بسجن «عبد الملك» فقط لكونه (نظيراً له في السؤدد)، أو لغيرته منه لكونه يتمتع بعدد من الصفات الحميدة، وذلك لاعتبارات عدة، منها: أن ذلك لم يكن من أخلاق الخليفة «الرشيد»، ولم يُعرف عنه الحسد أو الضغينة تجاه أحد من رجال عصره المعروفين بالذكاء والفتنة والمقام الرفيع، بل إنه كان معروفاً بالأخلاق العالية وحسن التعامل مع الناس.

ومنها: أن «الرشيد» نفسه كان - كما هو مشهور عنه تاريخياً - يتصف بصفات جليلة، كما كان يتمتع بسؤدد عظيم، لم يكن ثمة من يدانيه فيه ممن كانوا معاصرين له من بني العباس، أو من كانوا يعملون في بلاطه، وحتى لو بلغ بعضهم مكانة عالية، فإنه لم يكن لينظر إلى نفسه أو ينظر إليه غيره على أنه موازٍ لرجل كالخليفة «هارون الرشيد» في سؤدده ومقامه الكبير.

وهكذا تظل مسألة تدهور العلاقة بين «عبد الملك بن صالح» والخليفة «الرشيد» مشوبة بالغموض في بعض جوانبها، ومن ثم يصعب الخروج بنتيجة بيّنة بشأن أسبابها .. ولعله من الاتفاقات العجيبة أن تكون حادثة «عبد الملك» وسخط «الرشيد» عليه، في ذات السنة التي نَقِمَ فيها «الرشيد» على البرامكة، ونكبهم تلك النكبة المشهورة (١٨٧هـ / ٨٠٣م)، ويكمن الاتفاق بين الحادثتين - فضلاً عن كونهما جرتا في نفس السنة - في أن كليهما ظلت لغزاً محيراً أمام المؤرخين، ولم يصلوا إلى نتيجة حاسمة بشأن أسباب أيّ منهما، مع ما بسطوه من حديث وروايات مفصلة فيهما.

علاقته بالبرامكة :

كان «عبد الملك بن صالح» معاصراً للبرامكة في أيام عزّهم وسؤددهم، وكان من الطبيعي أن يلتقي برموزهم في البلاط العباسي بين حين وآخر، وأن تكون له بعض العلاقات والصّلات معهم، بيد أن المصادر التاريخية لا تسوق معلومات مفصلة عن تلك العلاقات، ولا تتحدّث عن وجود صلات واسعة بينه وبينهم، وذلك باستثناء ما أوردته من روايات يسيرة تتضمّن بعض المواقف التي تكشف عن طبيعة العلاقات بين الطرفين .. من

تلك المواقف ما ذكره بعض المؤرخين من أنّ «جعفر البرمكي»^(١) جلس يوماً في داره ومعه ندماؤه وخاصّة أصحابه، وأمر حاجبه ألا يأذن لأحد بالدخول عليه إلا لرجل من المقرّبين إليه يُدعى «عبد الملك بن بحران»، فسمع الحاجب «عبد الملك» دون «ابن بحران»، وعلم «عبد الملك بن صالح» بجلوس «جعفر البرمكي» في داره مع أصحابه وندمائهم فسار إليه، فلما وقف ببابه أخبر الحاجب «جعفراً» أنّ «عبد الملك» يستأذنه في الدخول، فظنّه «عبد الملك بن بحران»، وأمر أن يؤذن له، فلما دخل «عبد الملك بن صالح» فوجئ به «جعفر البرمكي» وتغيّر وجهه، وكان «عبد الملك» رجلاً مهيباً ذا جدٍّ ووقار^(٢).

وأدرك «عبد الملك بن صالح» أنّ قدومه كان أمراً مُفزعاً لجعفر ومَن كان معه ومُحرجاً لهم، فأراد أن يهدئ من روعهم، ويُشعرهم أنه ما قدِم إلا من أجل منادمتهم ومجالستهم، حيث طَفِقَ يتبسّط معهم في الكلام، ويسألهم أن يُشركوه في مجلسهم ذلك، وما زال يُحادثهم وينادهم حتّى زال ما في نفس «جعفر» من الحرج^(٣).

ثمّ إنّ «عبد الملك» استأذن في الخروج، فأراد «جعفر البرمكي» أن يُقابل تَلَطُّفه معه ومع أصحابه وحُسن مجالسته لهم بالشكر والتقدير، حيث سأله أن يذكر له حاجاته لِيُخدمه بما يستطيع، فأشار «عبد الملك» إلى أنّه يجد جفوة من جانب الخليفة «الرشيد» نحوه، وأنّه يرغب أن يصفو قلبه تجاهه، ويعود إلى رأيه الجميل فيه كما كان من قبل، فوعده «جعفر» وعداً قاطعاً مؤكّداً أنّ «الرشيد» سيرضى عنه، ثمّ ذكر له «عبد الملك» أنّ عليه دَيْناً لم يوفّه، فوعده أنّ الخليفة سيؤدّيه عنه، ثمّ قال له إنّهُ يتطلّع إلى تزويج

(١) هو «جعفر بن يحيى البرمكي». وزير عباسي، وأحد المشاهير في أسرة البرامكة. تولّى الوزارة في عهد الخليفة «هارون الرشيد»، وكان معروفاً بالجدود والكرم والفصاحة والبلاغة. انتهى أمره بمصرعه في نكبة البرامكة سنة ١٨٧ هـ. انظر ترجمته في: الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد، ج ٧، ص ١٥٢ - ١٦٠. ابن خلّكان. وفیات الأعيان، ج ١، ص ٣٢٨ - ٣٤٦. الذهبي. سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٥٩ - ٧١.

(٢) ابن خلّكان. المصدر السابق، ج ١، ص ٣٣٠، ٣٣١. ابن أبيك الصفي. الوافي بالوفيات، ج ١١، ص ١٢٢.

(٣) ابن عبد ربه. العقد الفريد، ج ١، ص ١٩٩ - ٢٠٠. الجهشيارى. الوزراء والكتّاب: تحقيق مصطفى السقا وآخرين - القاهرة، ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠ م، ص ٢١٣. التنوخي. الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٣٦٣ - ٣٦٤. ابن خلّكان. المصدر السابق، ج ١، ص ٣٣٠، ٣٣١. ابن أبيك الصفي. المصدر السابق، ج ١١، ص ١٢٢، ومن المراجع الحديثة انظر أيضاً: هولو جودت فرج. البرامكة سلبياتهم وإيجابياتهم - بيروت: دار الفكر اللبناني، ١٩٩٠ م، ص ٤٤.

أحد أبنائه من بنت «الرشيد»، ليرتفع قَدْرُه بمصاهرة الخليفة، فوعده «جعفر» أيضاً بإتمام هذه الزيجة!، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إنه طلب كذلك أن يُؤلَّى ابنه على أحد الأقاليم في الدولة العباسية، فضمن له «جعفر البرمكي» ذلك، ووعده أن تولية ابنه ستكون من جانب الخليفة «الرشيد» نفسه^(١).

وخرج «عبد الملك» من عند «جعفر» وسط دهشة وتعجب من الحاضرين في ذلك المجلس، ولم تكن دهشتهم ناجمة من تعدد مطالب «عبد الملك بن صالح» فقط، وإنما من جرأة «جعفر» على الموافقة على ما طلبه نيابة عن الخليفة «الرشيد» ودون أن يستأذنه في ذلك، وفي اليوم التالي سار «جعفر البرمكي» إلى قصر «الرشيد»، وحدثه بما جرى، فأمر بإتمام جميع ما وَعَدَ به «عبد الملك»^(٢).

ومع أن هذه الروايات قد لا تخلو من بعض المبالغات، إلا أنه يمكن أن نستنتج منها عدة أمور، منها: أن «عبد الملك بن صالح» كان يتمتع بشخصية مهيبه، ليس عند عامة الناس فحسب، بل وحتى عند كبار الرجال في البلاط العباسي، ومنهم الوزير الشهير «جعفر البرمكي»، ومنها: أن «عبد الملك» كان - بالرغم من جديته وحزمه - رجلاً لطيفاً حسن التعامل مع الناس، يسعى لكسب قلوبهم ونيل مودّتهم، ومنها أيضاً: أن «عبد الملك» كان يستشعر تغييراً في موقف الخليفة «الرشيد» منه قبل أن يبلغ الأمر حد السخط والنقمة عليه، وكان يسعى لأن يُعيد ثقته فيه، وفي هذا دلالة على أنه كان ينظر إلى الخليفة نظرة تقدير وإجلال، ويتطلع إلى نيل رضاه، وهو ما لا ينسجم مع ما قيل عنه من أنه كان يطمع في الخلافة حينذاك.. كما يُستنتج من هذه الروايات أن الخليفة «الرشيد» كان يحرص من ناحيته على اجتذاب «عبد الملك بن صالح» إلى جانبه وتلبية مطالبه، ولعله كان يحرص على ذلك؛ ليضمن استمرار ولائه ووفائه له.

(١) ابن عبد ربه . العقد الفريد، ج ١، ص ٢٠٠. الجهشباري . الوزراء والكتّاب، ص ٢١٢. التوحي . الفرّج بعد الشدة، ج ١، ص ٣٦٤. ابن خلّكان . وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٣١. ابن أبيك الصفدي . الوافي بالوفيات، ج ١١، ص ١٢٢.

(٢) ابن عبد ربه . المصدر السابق، ج ١، ص ٢٠٠. الجهشباري . المصدر السابق، ص ٢١٣ - ٢١٤. ابن خلّكان. المصدر السابق، ج ١، ص ٢٣١. ابن أبيك الصفدي . المصدر السابق، ج ١١، ص ١٢٢، ومن المراجع الحديثة . انظر أيضاً : هولو جودت فرج . البرامكة سلبياتهم وإيجابياتهم، ص ٤٤ .

ويمكن القول أيضاً إنّ طبيعة ذلك اللقاء الذي جرى بين «جعفر البرمكي» و«عبد الملك ابن صالح» يُشير إلى أنّ العلاقة بين هذا الأخير والبرامكة لم تكن - في تلك الفترة - متينة إلى حدّ يلفت النظر، ولم تكن بين الطرفين لقاءات واسعة وصلات دائمة، يؤيد ذلك ما كان من فزع «جعفر البرمكي» من قدوم «عبد الملك» إليه في داره دون علمه وسابق معرفته .

ومع أنّ البرامكة لم يكونوا - كما يبدو من بعض المواقف - يخفون إعجابهم بعبد الملك ابن صالح، إلّا أنّ بعض آرائهم وأقوالهم فيه ربّما تحمل في ثناياها شيئاً من الميل إلى مناوآته، ومن ذلك ما ذكرته بعض الروايات من أنّ «يحيى البرمكي» سئل - بعد أن ولّى «الرشيد» «عبد الملك» على المدينة - : كيف ولاّ المدينة دون غيرها من البلدان ؟، فقال : (أَحَبُّ أَنْ يُبَاهِيَ بِهِ قَرِيشاً، وَيُعَلِّمَهُمْ أَنَّ فِي بَنِي الْعَبَّاسِ مِثْلَهُ) ^(١) . وهذا القول بالرغم مما يبدو في ظاهره من ثناء كبير على «عبد الملك»، إلّا أنّه لا يخلو - كما يرى العلامة «خير الدين الزركلي» ^(٢) - من التحريض عليه .

ونقف في روايات بعض المؤرّخين على إشارات يسيرة تحاول الربط بين سخط الخليفة «هارون الرشيد» على «عبد الملك بن صالح» وتزايد نقمته على البرامكة . يقول «ابن الأثير» في أثناء حديثه عن نكبة البرامكة : (ثُمَّ حَبَسَ [أَي الرّشيد] يَحْيَى [البرمكي] وَبَنِيهِ الْفَضْلَ وَمُحَمَّدًا وَمُوسَى مُحَبَسًا سَهْلًا، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عِدَّةٍ مِنْ خَدَمِهِمْ، وَلَا مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ . وَلَمْ تَزَلْ حَالَهُمْ سَهْلَةً حَتَّى قَبِضَ الرَّشِيدُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ، فَعَمَّهُمْ بِسَخَطِهِ، وَجَدَّدَ لَهُ وَلَهُمْ التَّهْمَةَ ... فَضَيَّقَ عَلَيْهِمْ) ^(٣) .

ويقول «ابن كثير» في حوادث سنة ١٨٧هـ / ٨٠٣م : (وفي هذه السنة غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح بسبب أنّه بلغه أنّه يريد الخلافة، واشتدّ غضبه بسببه أيضاً على

(١) ابن النجار البغدادي . ذيل تاريخ بغداد، ج ١، ص ٥٠ . ابن أبيك الصفدي . الوافي بالوفيات، ج ١٩، ص ١١٣ . ابن شاکر الكتبي . فوات الوفيات، ج ٢، ص ٣٩٨ .

(٢) الأعلام - ٥ طه - بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٨٠م، ج ٤، ص ١٥٩ .

(٣) الكامل، ج ٦، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

البرامكة الذين هم في الحبوس، وسَجَنَه، فلم يزل في السجن حتى توفى الرشيد ..^(١) .
ويُفهم من رواية ساقها بعض المؤرخين أنّ الخليفة «هارون الرشيد» كانت تساوره بعض
الظنون بشأن طبيعة العلاقة بين «عبد الملك بن صالح» والبرامكة، وأنّه يرى أنّ البرامكة
ربّما كانت لديهم معرفة بما قيل إنّ «عبد الملك» كان يسعى إليه، فقد ذكرت هذه الرواية
أنّ «الرشيد» بعث إلى «يحيى البرمكي» وهو في سجنه - بعد نكبته هو وأسرته - يسأله
عن حقيقة ما أثير عن «عبد الملك بن صالح»، وطلب إليه أن يخبره بما يعلم من أمره
وما كان من عزمه على التمرد عليه، ووَعَدَه أن يُعيده إلى سابق عهده إنّ صدّقه القول،
فأقسم «يحيى» أنّه لم يطلع من «عبد الملك» على شيء من ذلك، وأبدى دهشته واستنكاره
من سؤال «الرشيد»؛ لأنّه كان يُدرك أنّ سؤاله يعني سوء الظنّ به، وأنّه يُلْمَح إلى اتّهامه
بالتآمر مع «عبد الملك بن صالح» ضده، وتساءل - متعجباً - قائلاً : هل كان سينال من
المكانة عند «عبد الملك» - لو أنّه وقف مناصراً له - أكثر ممّا ناله من حُطوة ومنزلة عند
«الرشيد»^(٢) ! .

ويبدو أنّ هذه الروايات قد قادت إلى الظنّ بأنّ ثمة اتّفاقاً بين «عبد الملك بن صالح»
والبرامكة، على التآمر ضدّ الخليفة «الرشيد»، وتولية «عبد الملك» الخلافة مكانه، وهو
ما نقف عليه في بعض المراجع الحديثة^(٣)، غير أنّه يصعب الجزم بشيء من ذلك، وذلك
للأسباب التالية :

- أنّ «البرامكة» كانوا يعيشون في أوج مجدهم إبّان عهد الخليفة «الرشيد»، وظلّوا كذلك
حتّى نكبتهم، ولم يحدث لهم قبل النكبة ما يدعوهم إلى التذمّر أو الإحساس بتراجع
منزلتهم حتّى يفكّروا في تعكير صفو علاقتهم بالرشيد .
- أنّ «عبد الملك بن صالح» كان رجلاً قوياً مهيباً، وبالتالي يصعب القول بأنّ «البرامكة»

(١) البداية والنهاية، ج١٣، ص٦٤٨ .

(٢) الطبري . تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٣٠٥ - ٣٠٦ . ابن عساكر . تاريخ مدينة دمشق، ج٣٧، ص٢٤ . ابن

الأثير . الكامل، ج٦، ص١٨٣ - ١٨٤ .

(٣) انظر : حسن أحمد محمود، و أحمد إبراهيم الشريف . العالم الإسلامي في العصر العباسي - القاهرة : دار

الفكر العربي، ص١٠٩ . شاكر مصطفى . دولة بني العباس - الكويت، ١٩٧٣م، ج١، ص٤٨٢ .

كانوا يُفكِّرون في إحلاله محلّ «الرشيد»؛ ليصبح دمية في أيديهم، وهناك شواهد كثيرة تدلّ على ما كان يتمتع به من قوة، وأنّ البرامكة أنفسهم كانوا يشعرون بالهيبة نحوه .

- أنّ «عبد الملك» عاد إلى مكانته الأولى في البلاط العباسي بُعيد وفاة الخليفة «الرشيد»، وولّي على الشام في عهد الخليفة «الأمين»، فلو كان قد تأمر مع البرامكة على الخليفة لما حظي بأيّ ثقة عند العباسيين، ولما أعادوه إلى منزلته السابقة .

- أن كبار المؤرخين الذين أطنبوا في الحديث عن نكبة البرامكة، وذهبوا في بيان أسبابها مذاهب شتّى، لم يذكروا من بين تلك الأسباب تأمر البرامكة مع «عبد الملك بن صالح» ضدّ «الرشيد»، ولو كان هذا الأمر صحيحاً وكان هو السبب في تلك النكبة، لبطلت الأسباب الأخرى، ولما احتاج المؤرخون إلى ذكرها .

والواقع أنّ ثمة تناقضاً بين أقوال بعض المؤرخين بشأن نكبة البرامكة ونقمة الخليفة «الرشيد» على «عبد الملك بن صالح»، أيّهما سبقت الأخرى، فبينما نرى بعض الروايات تُشير إلى أنّ «الرشيد» سخط على «عبد الملك» وأودعه السجن قبل نكبة البرامكة، وأنّه أمر بإحضاره من سجنه ذات يوم فأحضر وهو (يرفل في قيوده) ، وكان «يحيى البرمكي» حاضراً في مجلسه^(١) ، ولا زال يتمتع هو وبَنُوهُ بمنزلته المشهورة في بلاط الخليفة «الرشيد»، نرى روايات أخرى تُشير إلى أنّه لما سخط «الرشيد» على «عبد الملك بن صالح» وأمر بحبسه، كان البرامكة حينها قد أودعوا السجن بعد نكبتهم^(٢) .

ولعلّ حدوث كلتا الحادثتين في سنة واحدة، وهي سنة ١٨٧هـ / ٨٠٣م، هو الذي قاد إلى هذا الخلط عند المؤرخين، وربّما كان ذلك أيضاً سبباً رئيساً في ميل بعض الآراء إلى القول بأنّ ثمة علاقة ما بين نكبة البرامكة وسخط الخليفة «هارون الرشيد» على «عبد الملك بن صالح».

أثره في ميدان الفصاحة والبلاغة :

كان «عبد الملك بن صالح» على جانب كبير من الفصاحة والبلاغة، مشهوراً بروعة بيانه وحُسن منطقه وكلامه، وكان تميّزه في هذا الميدان أحد الأسباب الرئيسة لشهرته

(١) ابن عساكر . تاريخ مدينة دمشق، ج٢٧، ص٢٨ - ٢٩ .

(٢) ابن الأثير . الكامل، ج٦، ص١٧٨ - ١٧٩ . ابن كثير . البداية والنهاية، ج١٣، ص٦٤٨ .

وعلوّ مقامه، وقد أشاد كثير من المؤرّخين والأدباء بطول باعه في هذا الجانب، فوصفه «الزبير بن بكار» بقوله: (كان عبد الملك نسيج وحده أدباً ولساناً) ^(١)، وامتدحه «الصولي» بقوله: (كان أفصح الناس وأخطبهم، لم يكن في دهره مثله في فصاحته وصيانتته وجلالته) ^(٢)، ووصفه «المسعودي»: بأنّه (كان أفصح ولد العباس في عصره) ^(٣)، وأثنى عليه «أبو إسحاق الحصري القيرواني»، فذكر أنّه كان (بليغاً جهيراً) ^(٤)، كما أثنى عليه «الذهبي» بقوله: (وكان فصيحاً بليغاً شريف الأخلاق) ^(٥).

وكان لعبد الملك بن صالح وجودٌ ملموس كلّما جرى حديثٌ عن البلاغة وحضور البديهة في البلاط العباسي، أيّاً كان الموقف الذي يقفه، ففي لحظات الرضى عنه يتجلّى بأدب وفصاحة، وفي أوقات السخط عليه لا يفقد لفظةً معجزةً أو ردّاً محكماً ^(٦).. ونظراً لما كان يتمتع به من فصاحة وبلاغة، فقد استوقفت أقواله وكلماته التي قالها في بعض المواقف نظر كثير من بلغاء عصره، واستشهد بحسّنها كثير من العلماء بعده، وساق بعض المؤرّخين وأرباب الأدب نماذج كثيرة منها، تنطق - بجلاء - بما كان يتميز به في ميدان الفصاحة وروائع الكلم ..

ومن ذلك قوله لمؤدّب أولاده - وكان يُدعى «عبد الرحمن»: (يا عبد الرحمن لا تطرني في وجهي فأنا أعلم بنفسك منك، واجعل مكان التفريط صواب الاستماع مني، وأعلم أنّ صواب الاستماع أحسن من صواب القول، فإذا حدّثتك حديثاً فلا يفوتك منه شيء، وأرني فهمك في طرفك، إنّي اتّخذتك مؤدّباً بعد أن كنت معلّماً، وجعلتك جليساً مقرباً بعد أن كنت مباعداً، ومتى لم تعرف نقصان ما خرجت منه لم تعرف رجحان ما صرت إليه) ^(٧).

(١) الذهبي . سير أعلام النبلاء، ج٩، ص٢٢٢ .

(٢) ابن النجار البغدادي . ذيل تاريخ بغداد، ج١، ص٤٩. الذهبي . المصدر السابق، ج٩، ص٢٢٢ .

(٣) مروج الذهب، ج٣، ص٤٠٥ .

(٤) زهر الآداب وثمر الألباب، ج٣، ص٧١٧ .

(٥) سير أعلام النبلاء، ج٩، ص٢٢٢ .

(٦) سعدي ضنّاوي . ديوان هارون الرشيد، ص١٤٤ .

(٧) ابن عساكر . تاريخ مدينة دمشق، ج٣٧، ص٢٦ .

وقال له أيضاً : (كُنْ عَلَى التَّمَّاسِ الْحِظَّ بِالسَّكُوتِ أَحْرَصْ مِنْكَ عَلَى التَّمَّاسِ بِالْكَلَامِ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا : إِذَا أَعْجَبَكَ الْكَلَامُ فَاصْصَمْتُ، وَإِذَا أَعْجَبَكَ الصَّمْتُ فَتَكَلَّمْ) ^(١) .

وقيل له يوماً - وكان مقيماً في بلاد الشام - : (ما أحسن بلادكم)، فقال : (كيف لا تكون كذلك وهي تربة حمراء، وسنبلة صفراء، وشجرة خضراء) ^(٢) .

ومن أقواله أيضاً : (الحِلْمُ يحيا بحياة السَّوْدَدِ) ^(٣) .

ودخل ذات يوم على الخليفة «هارون الرشيد»، والناس يُعزّونه في ابن له تويّ، ويُهَنّونه في ابن آخر وُلد له، فقال : (يا أمير المؤمنين أجرك الله فيما ساءك، ولا ساءك فيما سرّك، وجعل هذه بهذه جزاءً للشاكر وثواباً للصابر) ^(٤) .

وقال له «يحيى البرمكي» في مجلس «الرشيد» : (يا عبد الملك بلغني أنك حقوق، فقال : أيها الوزير إن كان الحق هو بقاء الخير والشرّ إنهما لباقيان في قلبي، فقال الرشيد : تالله ما رأيت أحداً احتجّ للحق بأحسن ممّا احتجّ به عبد الملك) ^(٥) .

ويذكر «المسعودي» ^(٦) أنّ الخليفة «هارون الرشيد» اجتاز بمدينة «مَنْبَج» ^(٧) من أرض الشام، فنظر إلى قصر مشيد، وبستان غنيّ بالأشجار، كثير الثمار، فقال لعبد الملك بن صالح : لئن هذا القصر ؟ - وكان لعبد الملك - فقال : هو لك ولي بك يا أمير المؤمنين،

(١) ابن قتيبة . عيون الأخبار - بيروت : دار الكتاب العربي، ج ١، ص ٢١ .

(٢) المسعودي . مروج الذهب، ج ٢، ص ٤٠٥ . ابن العديم . بغية الطلب في تاريخ حلب؛ تحقيق سهيل زكار - بيروت : دار الفكر، ج ١، ص ٤٤٩ .

(٣) ابن قتيبة . المصدر السابق، ج ١، ص ٢٨٣ .

(٤) ابن عساکر . المصدر السابق، ج ٣٧، ص ٢٦ . ابن النجار البغدادي . ذيل تاريخ بغداد، ج ١، ص ٥٣ . السيوطي : رفع الباس، ص ٣٠٨ .

(٥) أبو إسحاق الحصري القيرواني . زهر الآداب، ج ٢، ص ٧١٥ . ابن عساکر : المصدر السابق، ج ٣٧، ص ٢٩ .

(٦) مروج الذهب، ج ٣، ص ٤٠٥ .

(٧) «مَنْبَج» : مدينة في بلاد الشام، تبعد عن نهر الفرات ثلاثة فراسخ (٩ أميال)، وعن حلب عشرة فراسخ (٣٠ ميلاً)، مشهورة بكثرة خيراتها وحسن أرضها وطيب هوائها . ياقوت الحموي . معجم البلدان - بيروت : دار صادر، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ج ٥، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ . القزويني . آثار البلاد وأخبار العباد - بيروت : دار بيروت، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ٢٧٤ . ابن شدّاد . الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة؛ تحقيق يحيى زكريّا عبّارة - دمشق، ١٩٩١م، ج ١، القسم الثاني، ص ٤٤٤ - ٤٤٥ .

قال : فكيف بناء القصر ؟ قال : دون منازلك وفوق منازل الناس، قال : فكيف مدينتك ؟ قال : عذبة الماء، باردة الهواء، قليلة الأدواء . وكانت «منبج» هذه إقطاعاً له يُقيم فيها في بعض الفترات^(١) .

وقد ساق عددٌ من الأدباء والمؤرخين جانباً من هذا الحوار الذي دار بين «الرشيد» و «عبد الملك بن صالح» في مدينة «منبج»، ومنهم «أبو إسحاق الحصري القيرواني» في كتابه (زهر الآداب وثمر الألباب)^(٢)، و «زكريّا القزويني» في كتابه: (آثار البلاد وأخبار العباد)^(٣)، و «عز الدين بن شدّاد» في كتابه: (الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة)^(٤) . ومهما يدلّ أيضاً على تميّزه في ميادين الفصاحة وحُسن الكلام، أنّ العلامة والأديب الشهير «ابن عبد ربّه الأندلسي» لما ساق في كتابه (العقد الفريد) بعض النماذج المختارة من خطب أعلام بني العبّاس، ذكر من بينها خطبة لعبد الملك بن صالح، ألّقاها أمام جمّع من أهل الشام^(٥) .

ولا أدلّ على مدى ما كان يتمتّع به «عبد الملك بن صالح» من براعة في ميدان الفصاحة والبلاغة، من أنّ بعض كبار الشعراء في العصر العباسي كانوا يقتبسون من كلامه طرفاً من الألفاظ والمعاني الجميلة، ويسوقونها في أشعارهم، ومن هؤلاء الشاعر المشهور «أبو تمام حبيب بن أوس الطائي»^(٦)، والشاعر العباسي المعروف «عبد الله بن المعتز»^(٧)، فقد أورد هذان الشاعران بعض العبارات التي اقتبسها -

(١) ابن خلكان . وفیات الأعيان، ج٦، ص ٣٠ .

(٢) ج٢، ص ٣٥١ - ٣٥٢ .

(٣) ص ٢٧٤ .

(٤) ج١، القسم الثاني، ص ٤٤٨ - ٤٤٩ .

(٥) ابن عبد ربّه . العقد الفريد، ج٤، ص ١٦٢ - ١٦٣ .

(٦) هو «أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي». من مشاهير الشعراء في العصر العباسي الأوّل. وُلد في سنة ١٨٨هـ، وقيل ١٩٠هـ، ومدح عدداً من خلفاء بني العبّاس، وحظي بمكانة عالية بين الشعراء الذين كانوا يختلفون إلى مجالسهم. توفّي سنة ٢٣١هـ . انظر ترجمته في : ابن خلكان . وفیات الأعيان، ج٢، ص ١١ - ٢٦ . ابن أبيك الصفي . الوافي بالوفيات، ج١١، ص ٢٢٥ - ٢٣٠ .

(٧) هو «أبو العبّاس عبد الله بن المعتز بالله بن المتوكّل على الله بن المعتصم بالله». شاعر وأديب عباسي مشهور، من أبناء الخلفاء. توفّي سنة ٢٩٦هـ . انظر ترجمته في : ابن خلكان . المصدر السابق، ج٣، ص ٧٦ - ٨٠ . الذهبي .

كما يقول «القيرواني»^(١) - من كلام «عبد الملك» في وصف مدينة «مَنْبِج»، حينما سأله عنها الخليفة «الرشيد».

وهكذا كان «عبد الملك بن صالح» ذا حظٍّ مع الرواة، أُعجبوا بأقواله، فكادوا لا يُغفلون منها كلمة، ولا يخلو منها كتاب من كتب الأدب^(٢).

أثره في ميدان البناء والعمران :

كان لعبد الملك بن صالح اهتمام بالبناء والعمران، فقد ذكر بعض المؤرخين^(٣) أنه شيد في مدينة «مَنْبِج» - في بلاد الشام - بعض المباني المشهورة، وكان ذلك في أيام الخليفة «هارون الرشيد». ومع أنّ المصادر التاريخية لا تسوق وصفاً مفصلاً لهذه المباني التي شيدها، ولا تذكر معلومات واسعة عنها، إلّا أنّ هذه الروايات تُفيد بأنّ «عبد الملك» كان رجلاً ميّالاً إلى العمارة والبناء.

ومع أنّ «مَنْبِج» لم تكن أكثر أهمية من بعض المدن الشامية المشهورة كدمشق وحلب، إلّا أنّ «عبد الملك بن صالح» شيد فيها تلك المباني دون غيرها من المدن، لكونه سكنها في سنة ١٧٣هـ / ٧٨٩م^(٤)، وقيل إنّ الخليفة «الرشيد» هو الذي أسكنه فيها^(٥). واشتهر عند بعض المؤرخين أنّ هذه المدينة كانت المقرّ الخاصّ بعبد الملك، وارتبط اسمه بها كثيراً بالرغم من أنه عاش حياته في بلدان كثيرة. يقول «الطبري» عند ذكره لها : (.. وبها مستقرّ عبد الملك)^(٦)، ويقول «ابن خلكان» عند إشارته لعبد الملك : (وكانت مَنْبِج إقطاعاً له، وكان مقيماً بها)^(٧). وممّا زاد في ارتباط اسمه بهذه المدينة أنّها كانت - وفقاً لما

سير أعلام النبلاء، ج ١٤، ص ٤٢ - ٤٤.

(١) زهر الآداب، ج ٢، ص ٣٥١ - ٣٥٢.

(٢) سعدي ضناوي. ديوان هارون الرشيد، ص ١٤٥.

(٣) البلاذري. فتوح البلدان: تحقيق رضوان محمد رضوان - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م،

ص ١٢٨. ياقوت. معجم البلدان، ج ٤، ص ١٦٥ - ١٦٦.

(٤) البلاذري. المصدر السابق، ص ١٢٨.

(٥) ياقوت. المصدر السابق، ج ٤، ص ١٦٥، ج ٥، ص ٢٠٥.

(٦) تاريخ الأمم والملوك، ج ٨، ص ٣٠٧.

(٧) وفيات الأعيان، ج ٦، ص ٣٠.

يذكره «ياقوت»^(١) - مسقط رأسه، إضافة إلى أنها أضحت - كما يُشير المؤرّخ «ابن العديم»^(٢) - موطناً لأبنائه وأحفاده لعهود تاريخية طويلة .

وكانت بداية إقامة «عبد الملك بن صالح» في مدينة «مَنْبَج» سنة ١٧٣هـ / ٧٨٩م، مرتبطة بما قام به الخليفة «الرشيد» من إجراءات مهمة لتقوية مناطق الثغور وتنظيمها وتحسينها، حيث أفرد عدداً من المدن المتاخمة لحدود الروم البيزنطيين مع الدولة العباسية في شمال الشام، وسَمّاها (العواصم)، لأنها تعصم جنوده من تعدي الروم عليهم في حال رجوعهم، وجعل «مَنْبَج» مدينتها الرئيسية في تلك الفترة^(٣) .

ويبدو أنّ بعض المباني التي شيّدها «عبد الملك» في مدينة «مَنْبَج» كانت على جانب من الشموخ والأهميّة، ولذا شاع ذِكْرُها عند عدد من المؤرّخين والبلدانيين، فقد نصّ «ياقوت الحموي» على أنّها (أبنية مشهورة)^(٤)، كما ذكر «ابن العديم» أنّ «عبد الملك بن صالح» لما سكن «مَنْبَج» (ابتنى بها قصراً وبستاناً)^(٥)، فوصّفه للبناء بـ (القصر)، يدلّ على أنّه لم يكن كسائر المباني، بل كان - في الغالب - يفوقها سعةً وحجماً . وإلى جانب «ياقوت» و «ابن العديم»، نرى المؤرّخ «ابن شدّاد» يقول عند ذِكْرِهِ لمدينة «مَنْبَج»: (وبها منازل وقصور لعبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس)^(٦) .

وممّا يؤيّد ذلك أيضاً أنّ الخليفة «هارون الرشيد» لما مرّ بمدينة «مَنْبَج» استرعى نظره ذلك القصر المشيد فيها، وسأل «عبد الملك بن صالح» عنه وعن مقدار ما فيه من الأبنية، فذكر له أنّه يفوق بناء سائر الناس، ولكنه يقلّ عن منازل الخليفة، تقديرًا له^(٧) . وقد ذكرنا نصّ كلام «عبد الملك» خلال الحديث عن أثره في ميدان الفصاحة والبلاغة .

(١) معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٠٦ .

(٢) بغية الطلب، ج ١، ص ٥٢٩، ٥٣٠ .

(٣) البلاذري . فتوح البلدان، ص ١٣٨ . ياقوت. معجم البلدان، ج ٤، ص ١٦٥ - ١٦٦، ج ٥، ص ٢٠٥ .

(٤) معجم البلدان، ج ٤، ص ١٦٦ .

(٥) بغية الطلب، ج ١، ص ٥٢٩ .

(٦) الأعلام الخطيرة، ج ١، القسم الثاني، ص ٤٤٨ .

(٧) المسعودي . مروج الذهب، ج ٣، ص ٤٠٥ .

ومن آثار «عبد الملك بن صالح» في الميدان العمراني أيضاً، تأسيسه قرية تُسمى (الصالحية)، على مقربة من مدينة «الرّها»^(١)، وقيل إنها قرب مدينة «الرّقة»^(٢)، في إقليم الجزيرة الفراتية^(٣)، وهي غير «الصالحية» الواقعة في أطراف مدينة «دمشق». ولم تذكر المصادر التاريخية التي وقفت عليها شيئاً عن الزمن الذي أسّس فيه «عبد الملك» هذه القرية، ولعلّ ذلك كان في أثناء ولايته على إقليم الجزيرة الفراتية إبان عهد الخليفة «المهدي ابن المنصور»، أو خلال ولايته على ذلك الإقليم مع بلاد الشام في أيام الخليفة «الأمين». ولم يقتصر اهتمام «عبد الملك بن صالح» بالبناء والعمران على ذلك فحسب، بل كانت له اهتمامات أخرى أيضاً، فقد ذكر «ابن شدّاد» أنّه جدّد بناء عدد من الأبراج الواقعة في أسوار مدينة حلب، يقول في هذا الصدد: (وفي أسوارها [أي حلب] أبرجة كثيرة، جدّدها ملوك الإسلام بعد الفتوح، مثل بني أميّة، وبني صالح [بن علي] لما كانوا ولاةً عليها من قبل بني العباس، وعلى الخصوص صالح بن علي، وعبد الملك ولده)^(٤). ولم يُشر «ابن شدّاد» إلى الفترة التي جدّد فيها «عبد الملك بن صالح» بناء تلك الأبراج، ومن المرجّح أنّ ذلك قد جرى بعد إقامته في مدينة «مَنبج» سنة ١٧٣هـ / ٧٨٩م، والتي لم تكن تبعد كثيراً عن مدينة حلب، أو في أثناء ولايته على مدينة دمشق فيما بين عامي (١٧٧ - ١٧٨هـ).

أثره في ميدان المواجهات بين العباسيين والروم البيزنطيين :

ومن الميادين التي كان لعبد الملك بن صالح أثر بارز فيها، ميدان المواجهات والحروب التي كانت قائمة في منطقة الثغور الفاصلة بين أراضي الدولة العباسية شمالاً وبلاد الروم البيزنطيين، وبخاصة في أيام الخليفة «هارون الرشيد»، حيث قاد عبد الملك بنفسه عدداً من الحملات العسكرية الموجهة إلى الأراضي البيزنطية، كما أرسل حملات أخرى

(١) «الرّها»: مدينة في إقليم الجزيرة الفراتية، بين الموصل والشام. ياقوت. المصدر السابق، ج ٣، ص ١٠٦.

(٢) «الرّقة»: مدينة على ضفاف نهر الفرات، كانت حاضرة ديار مُضر في إقليم الجزيرة الفراتية، وتقع حالياً في شمال سوريا. ياقوت. المصدر السابق، ج ٣، ص ٥٨ - ٥٩. دائرة المعارف الإسلامية؛ ترجمة أحمد الشنتاوي وآخرين ١٠ - بيروت: دار المعرفة، ج ١٠، ص ١٥٧.

(٣) ياقوت. معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٨٩.

(٤) الأعلام الخطيرة، ج ١، القسم الأول، ص ٥٩ - ٦٠.

إليها .. ففي صيف سنة ١٧٣هـ / ٧٨٩م قام بحملة عسكرية في الأراضي البيزنطية^(١)، كما سار على رأس حملة أخرى في العام التالي (١٧٤هـ / ٧٩٠م)^(٢)، وقيل إنه وجّه ابنه «عبد الرحمن بن عبد الملك» في تلك السنة على رأس جيش إلى بلاد الروم^(٣).

وفي سنة ١٧٥هـ / ٧٩١م قاد حملة عسكرية جديدة صوب المناطق التابعة للروم البيزنطيين، ووفقاً لما يذكره بعض المؤرخين^(٤) فقد سار في هذه الحملة (في أهل الثغور جميعاً)، وحقّق فيها انتصارات ملموسة. وفي السنة التالية (١٧٦هـ / ٧٩٢م) وجّه «عبد الملك» ابنه «عبد الرحمن» نحو بيزنطة في حملة أخرى^(٥)، وقد توغّل «عبد الرحمن» ابن عبد الملك» في بلاد الروم البيزنطيين خلال هذه الحملة، ونجح في تحقيق انتصار جديد عليهم، ومنح جنودهم الأمان^(٦).

وفي سنة ١٨١هـ / ٧٩٧م سار «عبد الملك بن صالح» على رأس جيش كبير صوب الأراضي البيزنطية، فتوغّل فيها حتى بلغ مدينة «أنقرة»^(٧)، وفي العام التالي (١٨٢هـ / ٧٩٨م) سيّره الخليفة «هارون الرشيد» على رأس حملة جديدة نحو بلاد الروم، فتمكّن من بسط نفوذه على بعض الأقاليم فيها^(٨). وظلّ «عبد الملك» يُشارك في كثير من الحملات العسكرية التي وجّهها العباسيون إلى بيزنطة حتّى قبيل سخط «الرشيد» عليه بوقت قصير، فقد أشارت بعض الروايات إلى أنّه شارك في حملة قادها «القاسم بن الرشيد»

(١) الأزدى . تاريخ الموصل، ص ٢٧٠. ابن عساكر . تاريخ مدينة دمشق، ج ٣٧، ص ٢٤.

(٢) الطبري. تاريخ الأمم والملوك، ج ٨، ص ٢٣٩. ابن الأثير . الكامل، ج ٦، ص ١٢١. ابن شدّاد . الأعلاق الخطيرة، ج ١، القسم الثاني، ص ٢٤٠. ابن كثير . البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٥٧٥.

(٣) خليفة بن خياط . تاريخه، ص ٤٤٩. ابن عساكر . المصدر السابق، ج ٣٧، ص ٢٤.

(٤) الأزدى . المصدر السابق، ص ٢٧٤. ابن عساكر . المصدر السابق، ج ٣٧، ص ٢٤.

(٥) ابن عساكر . المصدر السابق، ج ٣٧، ص ٢٤.

(٦) وديع فتحي عبد الله . العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي - الإسكندرية، ١٩٩٠م، ص ٢٥٦.

(٧) الطبري . تاريخ الأمم والملوك، ج ٨، ص ٢٦٨. ابن شدّاد . الأعلاق الخطيرة، ج ١، القسم الثاني، ص ٢٤٢، الذهبي . العبر في خبر من غبر؛ تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول - بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ج ١، ص ٢١٥. ابن كثير . البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٦٠٩.

(٨) وديع فتحي عبد الله . العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي، ص ٢٧٢.

سنة ١٨٧هـ / ٨٠٣م، وفي هذه الحملة توغل الجيش العباسي في بلاد الروم عبر درب «الصفصاف»^(١)، وانتهى الأمر بالصّح مع الروم البيزنطيين، وعودة الجيش العباسي مقابل إطلاق سراح بضع مئات من الأسرى المسلمين^(٢).

ومن الجليّ أنّ الدور الذي قام به «عبد الملك بن صالح» في ميدان المواجهات بين العباسيين والروم البيزنطيين، لم يكن - فقط - في أثناء ولايته على «دمشق» إبان عهد الخليفة «هارون الرشيد»؛ لأنّ ولايته على هذه المدينة لم تزد على عام واحد أو عامين في رواية أخرى. ولعلّ جزءاً رئيساً من تلك الحروب التي خاضها مع البيزنطيين كان بعد إقامته في مدينة «منبج»، والتي عاش فيها فترة من الزمن ابتداءً من سنة ١٧٣هـ / ٧٨٩م.

السنوات الأخيرة من حياة «عبد الملك بن صالح»:

لما توفّي الخليفة «هارون الرشيد» وتولّى الخلافة من بعده ابنه «محمد الأمين»، أخرج «عبد الملك بن صالح» من سجنه، وأحسن إليه، وذلك في شهر ذي القعدة من سنة ١٩٣هـ / ٨٠٩م، فشكّر له «عبد الملك» ذلك^(٣).

وعندما نشب الخلاف بين الأخوين «الأمين» و «المأمون» انحاز «عبد الملك» إلى جانب الخليفة «الأمين»، بل إنّه كان ممّن وافقه على إقصاء أخيه «المأمون»^(٤)، بالرغم من أنّ «الأمين» لم يكن موفّقاً في ذلك الإجراء. ويبدو ذلك الانحياز من جانب «عبد الملك» أمراً غريباً، سيّما وأنه كان رجلاً موصوفاً برجاحة العقل وبُعد النظر، ولعلّه وقف هذا الموقف وفاءً منه للخليفة «الأمين» على ما قام به من إخلاء سبيله والإحسان إليه في مستهلّ خلافته.

وحينما تصاعدت حدّة الصراع بين «الأمين» و «المأمون»، ولّى «الأمين» «عبد الملك بن

(١) قال «ياقوت»: (الصفصاف كورة من ثغور المصيصة)، و «المصيصة»: مدينة من ثغور الشام بين أنطاكية

وبلاد الروم. معجم البلدان، ج٣، ص٤١٣، ج٥، ص١٤٤ - ١٤٥.

(٢) خليفة بن خياط. تاريخه، ص٤٥٨.

(٣) ابن الأثير. الكامل، ج٦، ص٢٥٧.

(٤) الأزدي. تاريخ الموصل، ص٣١٩.

صالح» على بلاد الشام^(١)، وكان «عبد الملك» قد قطع على نفسه عهداً بأن يظلّ وفياً له، وألاً يُقدّم الطاعة للمأمون في حال انتصاره أبداً^(٢)، وأوجب على نفسه طاعته ومناصحته تقديرًا له على ما قام به من تخلية سبيله وحُسن معاملته، ولذا قدم إليه وطفق يُحدّثه عمّا يُشاهده من أوضاع وتطوّرات، ويُشير عليه بما يراه مناسباً من إجراءات يمكن أن تُسهم في تغيير موازين القوى بينه وبين أخيه «المأمون»، وكان ممّا أشار به أن يستعين بأهل الشام لمحاربة جيش أخيه الذي كان يقوده «طاهر بن الحسين»^(٣)؛ لأنهم كانوا - حسب رأيه - أكثر قدرة على مواجهة خصومه، وجُلّهم - كما يقول - منقاد إلى طاعته^(٤).

لَقِيَتْ مشورة «عبد الملك بن صالح» أذنًا صاغية عند الخليفة «الأمين»، فولّاه بلاد الشام والجزيرة الفراتية، وأمّده بما يحتاج إليه في ولايته، ووجّه معه عدداً من الرجال، واستحثّه على المسير سريعاً إلى البلاد الشامية. وبذل ما يستطيعه من جهود لمناصرتة في صراعه مع أخيه «المأمون»^(٥).

سار «عبد الملك» إلى الشام، حتى بلغ مدينة «الرقّة»، فأقام بها، ومنها وجّه رُسله إلى أعيان البلاد الشامية والجزيرة الفراتية، ليجمعوا له الرجال، ويُرسلوهم إلى الخليفة «الأمين» كي يقفوا معه، ولم يمض وقت طويل حتّى وفدت جموع كثيرة إلى «عبد الملك» نفسه، فأكرمهم وأحسن استقبالهم .. بيّد أنّ الأمور لم تسر حسب ما كان يريده، فقد وقعت فتنة بين بعض رجاله وتلك الجموع الوافدة، وتطوّر الأمر إلى قتال عنيف بين الطرفين، وحينما علم «عبد الملك بن صالح» بذلك وجّه إليهم رسولاً يأمرهم بالكفّ عن

(١) الطبري . تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٣٠٥، ٤٢٤. ابن الأثير . المصدر السابق، ج٦، ص١٨٢، ٢٥٧.

(٢) الطبري . المصدر السابق، ج٨، ص٣٠٥. ابن الأثير . المصدر السابق، ج٦، ص١٨٢.

(٣) هو «طاهر بن الحسين الخزاعي». من قوَاد بني العباس. برز دوره في أثناء الصراع بين الخليفة «الأمين» وأخيه «المأمون»، حيث كان «طاهر» كبير القوَاد في معسكر «المأمون»، وعندما انتصر على جيوش «الأمين» عظمت مكانته عند «المأمون»، وولّاه بعد فترة على إقليم خراسان . توفي سنة ٢٠٧هـ . انظر ترجمته في: الخطيب البغدادي . تاريخ بغداد، ج٩، ص٣٥٣ - ٣٥٥. ابن خلكان . وفيات الأعيان، ج٢، ص٥١٧ - ٥٢٣. ابن أبيك الصفيدي. الوافي بالوفيات، ج١٦، ص٢٢٦ - ٢٣٠.

(٤) الطبري . المصدر السابق، ج٨، ص٤٢٤ - ٤٢٥. ابن الأثير . المصدر السابق، ج٦، ص٢٥٧.

(٥) الطبري . تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص٤٢٥. ابن الأثير . الكامل، ج٦، ص٢٥٧.

القتال، ولكنهم طردوا رسوله واستمروا في قتالهم، وزاد الطين بلة أن «عبد الملك» مرض في تلك الفترة، ولم يعد قادراً على مواجهة تلك التطورات الخطيرة، وما لبثت تلك الجموع التي قدمت من بلاد الشام والجزيرة الفراتية أن عادت إلى بلدانها. أما «عبد الملك» فقد ظل في مدينة «الرقّة» حتى وفاته في شهر جمادى الآخرة سنة ١٩٦هـ / ٨١١م^(١).

ويبدو أن وفاة «عبد الملك بن صالح» في تلك السنة قد أسهمت في حدوث فراغ كبير في المنطقة التي كان والياً عليها - وهي الشام والجزيرة الفراتية - وقادت إلى ارتباك أوضاعها في تلك الفترة، يؤكد ذلك ما ذكرته إحدى الروايات من أنه لما توفي اضطربت البلاد التي كان والياً عليها وتغلب كل رئيس قوم على قومه، وانقسم الناس إلى فريقين، فريق يؤيد الخليفة «الأمين»، وآخر يؤيد أخاه «المأمون»^(٢).

الخاتمة :

وبعد : فقد كشفت هذه الدراسة عن عدد من النتائج، من أهمها ما يلي :

- كان «عبد الملك بن صالح» يتمتع بشخصية جادة مهيبة، ليس أمام عامة الناس فقط، بل وحتى عند كبار الرجال في الدولة العباسية في زمنه، وكان في الوقت نفسه رجلاً لطيفاً حسن التعامل مع الناس، يحرص على كسب قلوبهم ونيل رضاهم ومودّتهم .
- تبين لنا من خلال هذه الدراسة أن «عبد الملك بن صالح» كان محل ثقة الخلفاء العباسيين، على الرغم مما جرى له في السنوات الأخيرة من عهد الخليفة «هارون الرشيد»، ولا أدل على ذلك من أن عدداً منهم اختاره والياً على بعض المدن والأقاليم، بل إنه حتى بعد سخط «الرشيد» عليه وسجنه نراه يعود من جديد والياً على منطقة مهمة، وهي بلاد الشام والجزيرة الفراتية، في عهد الخليفة «الأمين».
- على الرغم مما تمتع به «عبد الملك بن صالح» من شهرة واسعة ومكانة مميزة في البلاط العباسي، إلا أن ثمة جوانب ظلت غامضة في سيرته وفي بعض المواقف التي جرت له في سني حياته، ومن أهمها علاقته بالخليفة «هارون الرشيد»، وسبب نقمة «الرشيد» عليه، وسجنه بضع سنين .

(١) الطبري . المصدر السابق، ج ٨، ص ٤٢٥ - ٤٢٨. ابن الأثير . المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

(٢) اليعقوبي . تاريخه، ج ٢، ص ٤٣٩ - ٤٤٠ .

- اتّضح لنا في أثناء هذا البحث أنّ ما ذهب إليه بعض الآراء من أنّ ثمة اتفاقاً جرى بين «عبد الملك بن صالح» والبرامكة ضدّ الخليفة «الرشيد»، يصعب الجزم به، ولا تتوافر أدلّة تاريخية بيّنة تدعمه أو تُعزّزه، ولذا تظلّ هذه الآراء ضرباً من ضروب التخمين، قاد إليه فيما يبدو ذلك التزامن الغريب بين نكبة البرامكة ونقمة الخليفة «الرشيد» على «عبد الملك بن صالح»، حيث جرت كلتا الحادّتين في سنة واحدة، وهي سنة ١٨٧هـ / ٨٠٣م .

- أوضحت هذه الدراسة أنّ البرامكة كانوا ينظرون إلى «عبد الملك بن صالح» نظرة تتسم بالتقدير والاحترام، ولكنهم في الوقت ذاته لم يكونوا على علاقة متينة معه، ولم تكن ثمة لقاءات واسعة بين الطرفين، بل إنّ هناك بعض المواقف التي يُستشفّ منها أنهم كانوا يميلون في بعض الفترات إلى مناوآته، وتحريض الخليفة «الرشيد» عليه .

- اشتهر «عبد الملك بن صالح» بين رجال عصره بميزات كثيرة، استوقفت أنظار المؤرّخين والأدباء نحوه، ومنها ما عُرف عنه من فصاحة وبيان، ولذا أضحت أقواله وكلماته شواهد يسوقها المهتمّون بالبلاغة وبيدع الكلام في مختلف الأزمان .

لم تقتصر اهتمامات «عبد الملك بن صالح» وحياته على شؤون الولاية والعناية بالفصاحة والبلاغة، بل كانت له اهتمامات أخرى أيضاً، ومنها البناء والعمران، فقد شيّد في أثناء مقامه في بلاد الشام، وتحديداً في مدينة «مَنبج» بعض المباني المشهورة، وأنشأ قرية تُسمّى (الصالحية) في إقليم الجزيرة الفراتية، كما جدّد بناء عدد من الأبراج في أسوار مدينة حلب .

- تبَيّن لنا في هذا البحث أنّ «عبد الملك بن صالح» كان له أثرٌ ملموس في ميدان المواجهات العسكرية بين العباسيين والروم البيزنطيين، ولا سيّما في عهد الخليفة «هارون الرشيد»، حيث قاد عدداً من الحملات الموجهة صوب الأراضي البيزنطية، وقد جرت أبرز هذه الحملات في سنوات ١٧٢هـ / ٧٨٩م، و ١٧٤هـ / ٧٩٠م، و ١٧٥هـ / ٧٩١م، و ١٨١هـ / ٧٩٧م، و ١٨٢هـ / ٧٩٨م .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م). الكامل في التاريخ - بيروت : دار صادر، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- الأزدي، أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م) . تاريخ الموصل: تحقيق علي حبيبة - القاهرة، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) . جمل من أنساب الأشراف: تحقيق سهيل زكار، ورياض زركلي - ط ١ - بيروت : دار الفكر، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م . فتوح البلدان: تحقيق رضوان محمد رضوان - بيروت : دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م) . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - ط ١ - بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
- التنوخي، أبو علي المحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م) . الفرج بعد الشدة: تحقيق عبود الشالجي - بيروت : دار صادر، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- الجهشيارى، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ / ٩٤٣م) . الوزراء والكتّاب: تحقيق مصطفى السقا وآخرين - ط ٢ - القاهرة، ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م .
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م) . المنتظم في تاريخ الملوك والأمم - ط ١ - بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
- ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م) . جمهرة أنساب العرب - ط ١ - بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) . معجم البلدان - بيروت: دار صادر، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧١م) . تاريخ بغداد - بيروت : دار الكتب العلمية .

- ابن خلّكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان؛ تحقيق إحسان عباس -٠ بيروت: دار صادر، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
- ابن خيَّاط، أبو عمرو خليفة بن خيَّاط الليثي العُصفري (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م). تاريخ خليفة بن خيَّاط؛ تحقيق أكرم ضياء العمري -٠ ط ٢ -٠ بيروت: دار القلم، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام؛ تحقيق عمر عبد السلام تدمري -٠ ط ١ -٠ بيروت: دار الكتاب العربي.
- سير أعلام النبلاء؛ تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين -٠ بيروت: مؤسسة الرسالة.
- العبر في خبر من غبر؛ تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول -٠ ط ١ -٠ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م). تاج العروس من جواهر القاموس؛ تحقيق علي شيري -٠ بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م). التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة -٠ ط ١ -٠ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م). رُفْعُ الباس عن بني العباس؛ تحقيق يحيى محمود بن جُنيد، مجلة «عالم المخطوطات والنواذر»، المجلد الثامن، العدد الثاني، رجب - ذو الحجة ١٤٢٤هـ / سبتمبر ٢٠٠٣م - فبراير ٢٠٠٤م.
- ابن شدّاد، عزّ الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م). الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة؛ تحقيق يحيى زكريّا عبّارة -٠ دمشق، ١٩٩١م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م). تحفة ذوي الألباب فيمن حكّم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب؛ تحقيق إحسان سعيد خلوصي، وزهير حميدان الصمصام -٠ دمشق، ١٩٩١م. الوافي بالوفيات؛ تحقيق أحمد الأرنؤوط، وتركي مصطفى -٠ ط ١ -٠ بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م). تاريخ الأمم والملوك؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم -٠ بيروت: دار سويدان.
- ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م). الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية -٠ بيروت: دار صادر.

- ابن عبد ربّه الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربّه (ت ٣٢٨هـ / ٩٤٠م) . العقد الفريد؛ تحقيق محمد عبد القادر شاهين ٠- ط ١ - بيروت : المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .
- ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م) . بغية الطلب في تاريخ حلب؛ تحقيق سهيل زكّار ٠- بيروت : دار الفكر .
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ / ١١٧٦م) . تاريخ مدينة دمشق؛ تحقيق محبّ الدين عمر بن غرامة العمروي ٠- بيروت : دار الفكر .
- ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت في حدود ٥٨٠هـ / ١١٨٤م) . الإنباء في تاريخ الخلفاء؛ تحقيق قاسم السامرائي ٠- ط ٢ - الرياض : دار العلوم، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م) . عيون الأخبار ٠- بيروت : دار الكتاب العربي .
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) . آثار البلاد وأخبار العباد ٠- بيروت : دار بيروت، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- القشيري، أبو علي محمد بن سعيد (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م) . تاريخ الرقّة ٠- ط ١ - دمشق : دار البشائر، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .
- القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ / ١٠٦١م) . زهر الآداب وثمر الألباب ٠- ط ٤ - بيروت : دار الجيل .
- الكتبي، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م) . فوات الوفيات؛ تحقيق إحسان عباس ٠- بيروت : دار صادر .
- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) . البداية والنهاية ٠- ط ١ - القاهرة : دار هجر، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
- الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م) . ولاية مصر؛ تحقيق حسين نصّار ٠- بيروت : دار صادر .
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) . مروج الذهب ومعادن الجوهر؛ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ٠- ط ٥، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .
- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) . لسان العرب ٠- بيروت : دار صادر .
- ابن النجار البغدادي، أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن (ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م) . ذيل تاريخ بغداد ٠- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

- النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (القرن الرابع الهجري) . الفهرست -٠ بيروت : دار المعرفة، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م) . تاريخه -٠ بيروت : دار صادر .
ثانياً : المراجع :
- حسن أحمد محمود، وأحمد إبراهيم الشريف . العالم الإسلامي في العصر العباسي -٠ طه ٥ - القاهرة : دار الفكر العربي . دائرة المعارف الإسلامية؛ ترجمة أحمد الشنتاوي وآخرين -٠ بيروت : دار المعرفة .
- الزركلي، خير الدين . الأعلام -٠ طه ٥ - بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٨٠م .
- ضنّاوي، سعدي . ديوان هارون الرشيد -٠ ط١ - بيروت : دار صادر، ١٩٩٨م .
- عبد الله، وديع فتحي . العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي -٠ الإسكندرية، ١٩٩٠م .
- فرج، هولو جودت . البرامكة سلبياتهم وإيجابياتهم -٠ ط١ - بيروت : دار الفكر اللبناني، ١٩٩٠م .
- مصطفى، شاكر . دولة بني العباس -٠ ط١ - الكويت، ١٩٧٣م .